بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الأستاذ عبد التواب يوسف أحمد يوسف

الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي (بالاشتراك)

لعام 1411 هـ/ 1991 م

صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز
نائب خادم الحرمين الشريفين في رعاية هذا الحفل
أصحاب السمو والمعالي
السادة رجال العلم والفكر والأدب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

كلمتي – سادتي – عشر نقاط. قطرات. من ندى الفجر ولياليٍ العشر.. كابدت أحرف الضاد والسهاد خلالها. كان أيسر عليّ أن أحفن نفحات العطر. أمسك بشعاعات النور. أقبض على الجمر، من صياغتها مجرد قطعة حلوى من صغير أراد بها أن يرد جميل أب ملأ دنياه بحلواه.

القطرة، النقطة، الأولى: الجائزة "ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون" وقد صبرت نصف قرن، منذ تجاوزت طفولتي، عملاً وجهدًا، ارتد إليها نبعًا أَخِذَ منه كي أحظى بينكم بمكاني اليوم.. شاكرًا وممتنًا للمانحين، والمحكمين، ولأمانة الجائزة.

ثانية النقاط أن الجائزة وافتني من حيث أشرقت الأرض بنور ربها: من أرض محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم)، عمر وعمرو، خالد وسعد، أبي بكر وأبي ذر، بلال وأسامة، آمنة وأم أيمن، خديجة وعائشة، زينب وفاطمة.. وكلهم موضوعات كتبي الفائزة بالجائزة.. وقبل سبع سنين أهديت كتابي (طفولة النبي "صلى الله عليه وسلم" للأطفال) إلى مكة والمدينة لعلي أرد لهما بعض فضلهما. هيهات كانتا مع الرياض تدخر لي لحظتي هذه.
"إني جزيتهم اليوم بما صبروا إنهم هم الفائزون".

وكاتب الأطفال حالم كبير، يعايش ملوكًا وأمراءً ومِلكات وأميرات من بنات خياله حده، ولكن حلمه لا يتمادى ولا يتناهى إلى لقاء ملك حقيقي، ممثلاً بأخيه الكريم.. وأمر يتجاوز الخيال ذاته أن

يتسلم كتاب أطفال "الجائزة" برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد، أول ملك في التاريخ يفخر بأنه "خادم الحرمين الشريفين".. والرائع أيضًا أن تحمل الجائزة اسم ملك..

الملك فيصل رحمه الله وأرضاه.. يذكر له التاريخ وقفته المجيدة والشامخة في حرب رمضان "أكتوبر" في مواجهة من استباحونا وأرضنا السليبة المقدسة، وما نسينا تطلعه للصلاة في ثالث الحرمين الشريفين.. في الأقصى الذي باركنا من حوله ومضى في رحاب ربه دون أن يحقق أمنيته.. لكن أحفادًا له سيؤدونها، لأنهم سيكونوا الكرار بإذن الله.. يكررون صلاح الدين الأيوبي... ما دمتم تكرمون أقلام كاتبيهم.

خامسة القطرات. النقاط "العالمية". قبل عشرين عامًا كنت في زيارة ثقافية إلى انجلترا وألقيت محاضرة في اتحاد كتابهم عن أعمالي وكتاباتي، بعدها انتحى بي رئيس جامعة كتاب الأطفال، وهمس قائلاً: أفكارك وأسلوبك ومستواك الأدبي بلا مجاملة يرقى إلى العالمية.. يحول بينك وبينها أنك تكتب بالعربية لجمهور محدود، اكتب بالإنجليزية تحقق لنفسك "العالمية".

بعد العودة للوطن تساءلت: لماذا أكتب للأطفال؟ هل لمطمع خاص ومطمع شخصي؟ هل مهمتي تثقيف الأطفال قراء الإنجليزية؟ كان الجواب: لا، بالقطع... أطفال أمتي أمانة في عنقي، ولغة القران، وامتشقت قلم حماسي من أجلهم.. ويوم فزت بجائزة الملك فيصل العالمية أبرقت لصديقي رئيسي جامعة كتاب الأطفال في إنجلترا "حققت العالمية بإسلامي وعروبتي".. وجائزة عالمية، للعربية، في أدب الأطفال تشكل سمة حضارية، باللغة العصرية، والتقدم وتؤكد على حس رفيع المستوى، ليس بغريب على صناع الحضارة القديمة في مصر والجزيرة والعراق والشام، وصناع الحضارة الإسلامية الزاهرة من المدينة ودمشق وبغداد والقاهرة، وأيضًا أمل الإنسانية في حضارة حقيقة تتجاوز حضارتهم المادية الزائلة.. ولم تسبقنا جائزتهم العالمية، ولنذكرهم بحكاياتنا الرائعة في ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنه والأسد والغواص.. وسنوحي وجلجامش... سبقناهم بقرون، ومع ذلك ما زال أطفالهم مفتونين بالسندباد وعلاء الدين وعلي بابا.

النقطة السابعة: إننا هنا رموز لعشرات.. شخصيًا عاشرت كامل كيلاني أكثر مما عاشرت جيراني... وأكثر مما عاشره أولاده... وعشت مع الهراوي والعريان والجهيمان، والغول، والرصافي.. كأنهم عائلتي.. ويجب أن نذكر بالحب كل من أغنى بفكره وقلمه أدب الطفل في مختلف أقطار وطننا

العربي الكبير... على أن هناك اسمين يطوقان عنقي: أمي وأستاذتي: الدكتورة سهير القلماوي، أبي ومعلمي: بابا شارو.. وهذه الجائزة تضعني في مصاف إناس كبار أشرئِب لكي أطاولهم قامةً... أصبحت في قائمة واحدة مع (يحيي حقي) شرف ما بعده شرف... والذين أحسنوا بي الظن في التهنئة قالوها: إلى نوبل محفوظ أو إلى أندرسون.. أقول لهم: كل ما أسعى إليه هو أن أرضي طفلاً على قمة جبل تعز، وآخر في ريف مصر، وثالث في بادية الشام، ورابع في صحاري السعودية، وخامس في أحراش السودان... وآخرين في جيبوتي، والصومال وموريتانيا.

وكثيرًا ما سألت: هل فرحت بهذه الجائزة؟ الجواب: فارق كبير بين الفرحة والسعادة.. في لحظات أحسست باعتزاز جعلني أرجوا أن أحصل على زجاجة "أليس في بلاد العجائب" وقد كتب عليها اشربني، إذا مشروبها السحري يعيد الإنسان لحجمه الحقيقي... وتذكرت جاليفر بين الكبار والأقزام وتذكرت أدب الأطفال العالمي الذي أقتني منه في مكتبي 20 ألف كتاب، هيّ ذروة في الفن والأدب تجعلني شديد التواضع.

النقطة القطرة رقم عشرة: تتجمع القطرات.. يحسوها عصفور صغير.. يحس أنه ارتوى.. من زمزم.. حوّم مع حمام الحرم.. هبط إليّ يلتقط معه الحب والحب.. حلم بالجائزة وتتوج عمله، وعلى صورتها هذه هيّ بلا تفوق أو تفرد، وتقول لي: لا تاج للإنتاج إلا بمواصلته، دأبًا وعطاءً، ولتكن جائزة الفيصل فيصلاً بين ماضي ومستقبل، ولتكن نورًا يضيء الطريق، إلى مآذنه أنادي من فوقها: حي على الطفولة.. ومنبر ارتقيه أقول من فوقه: زمامهم في أيديكم اليوم وفي أيديهم مستقبلاً، فأحسنوا إليهم... وعامود في مسجد أسند ظهري إليه وأقول: لا تظنوا أنكم وأطفالكم مثل إبريق الشاي الكبير والأكواب يمتلئ به، دعوهم ليكونوا أنفسهم... وهمسة صغيرة أنقلها عن حديث شريف ورد في كتابي (عمر في مصر) بما معناه أوصيكم بأهلها خيرًا فإن لكم فيها نسبًا وصهرًا...

شكرًا وامتنانًا لكم بالبسمة الحلوة واللمسة الحانية.. نسألك اللهم أن تكلأ أمتنا بعين الرعاية وأن تجمع كلمتها، وتأخذ بيدها وتضع على النور خطاها.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته